خطط القتال

لا يخوض تنظيم داعش الإرهابي معاركه الحربية ارتجالا أو اعتباطا، إنما يمتلك خططا وتكتيكات حربية وفق ما تسعفه به قدراته في العدد والعتاد، وتدفعه إليه أهدافه الشريرة، وتمليه التطورات المتلاحقة في ميدان القتال.

فقبل أن تدور رحى الحرب، يتم إعداد الفرد المقاتل، لاسيما أن التنظيم يعتمد بشكل أساسي على تعميق عواطف مقاتليه ليرفع روحهم المعنوية، وذلك من خلال أيديولوجية دينية، وتحديد غايات بعيدة المدى مفعمة بالأمل، حتى لو كان خادعا، كي يعوض الفرق في التسلح، والإمداد والتموين، والخبرات الميدانية، التي يتمتع بها من يقاتلونه.

يبدأ إعداد الفرد المقاتل في داعش بحضوره دورة تثقيفية، تستمر أسبوعا، ويمكن أن تُختصر، في حالة الضرورة، إلى ثلاثة أيام، وفيها يتم تدريس الأفكار والتصورات الدينية المتطرفة للتنظيم، بلغات مختلفة، على أيدي مجموعة محاضرين، هم من أهل الثقة والدراية أو «العلم الشرعي»، وفق ما يراه قادة التنظيم.

obeikan.com

وبعد مرور الشاب بهذه الدورة التثقيفية يتهيأ لتقبل «التدريبات العسكرية» التي تستغرق ثلاثة أسابيع على الأقل، حيث يتدرب على فنون القتال، وهي تبدأ، لدى داعش، باستخدام المسدسات في التصويب على أهداف ثابتة، وبعدها البنادق، فالرشاشات، وبعدها القنابل اليدوية. وهناك تدريب على القتال في الشوارع، واقتحام البيوت وتفتيشها، ثم طرق الهجوم والدفاع والانسحاب المدروس من ساحة الحرب.

ويبدأ التدريب اليومي بعد صلاة الفجر بطابور الصباح، وبعدها اختراق الضاحية ولمسافة ٤ كيلومترات، وبعدها يكون التمرين على مختلف الأسلحة. ويتم هذا على أيدي مدربين محترفين لقاء «مصروف شهري» يبلغ خمسمائة دولار. وبعض المدربين يعملون متطوعين، إن لم تكن لهم حاجة إلى هذا المصروف.

ويريد التنظيم أن يبدأ في تهيئة أفراد للقتال من مرحلة عمرية سابقة على هذا بكثير، إذ فكر في إنتاج لعبة حرب إلكترونية، تشبه إلى حد كبير النسخة الجديدة من لعبة **Grand Theft Auto** وأسماها «صليل الصوارم» وهي تحتوي على التكيكات العسكرية لداعش، وترمي، وفق ما أعلنه التنظيم إلى «رفع معنويات المجاهدين، وتدريب الشباب على القتال، وقذف الرعب في قلوب الأعداء». وقد وضع الدواعش في لعبتهم تلك بدلاً من الموسيقى أناشيد حماسية جهادية وتكبيرات مع كل انتصار أو هجوم أو تفجير أو اقتحام ناجح.

ولا يعتمد داعش على مقاتلين يؤمنون بأفكاره أو ينتمون إليه من المنشأ فحسب، بل يستغل أيضا الانحرافات في صفوف عسكريين سابقين، ومغريات المال، وعصبيات قبلية ومذهبية، ورغبات انتقامية، في تجنيد مزيد من المقاتلين.

ويشكل التحاق عسكريين سابقين بصفوف داعش، سواء بموجب قناعات فكرية أو تصفية حسابات سياسية، أو ولاءات مذهبية، قوة للتنظيم، مستمدة من المعرفة الكاملة لدى هؤلاء بالتكتيكات الأمنية، وبخرائط تمركز القوات، وطبيعة الأرض التي تشكل مسرحا للقتال، والممرات الآمنة، والثغرات الأمنية، وأماكن مخازن السلاح ونوعياته، وأساليب استخدامه، فضلا عن أساليب القتال وتفخيخ السيارات. وحدث هذا بشكل مفرط في العراق من خلال انضمام عسكريين، لاسيما من بين البعثيين، إثر حل الجيش العراقي بعد الاحتلال الأمريكي للعراق.

وفي بعض العمليات يفضل التنظيم المقاتلين الأجانب، لأنهم أكثر قسوة في التعامل مع المجتمع المحلي، نظرا لأنهم لا تربطهم به صلة رحِم، ولا انشغال عاطفي، ولا سابق معرفة، قد تؤدي إلى تخليَ المقاتل عن القسوة المفرطة في مواجهتهم.

ولا يترك التنظيم مقاتليه بلا مراقبة، إذ إنه طيلة الوقت في شك وحذر حيالهم، خوفا من الاختراق، أو انشقاق بعض

المقاتلين وحمل أسرار داعش إلى أعدائه. وهنا يقول مقاتل اسمه أبو حمزة:

«عندما ذهبنا للقتال، كنا نشعر أن هناك من يراقبنا، ليعرف مدى مشاركتنا في الحرب. ويصل الأمر إلى مراقبة مخازن الذخائر، وعد فوارغ الطلقات النارية».

ويوجد لدى كل مجموعة أو فصيلة مقاتلة عنصر استخباراتي، مفوض بتطبيق ما يسميه التنظيم «القتل بالشك». ويعاقب داعش كل من يثبت تقاعسه أو يهرب من ميدان المعركة عقابا شديدا، فمثلا تم إعدام سبعة مقاتلين برميهم في قدر من الماء المغلي بعد هروبهم من القتال بمحافظة صلاح الدين شمالي العراق، إثر تعرض معسكرهم لقصف جوي واسع.

ويقاتل الدواعش لاستمرار السيطرة والتحكم في الأرض التي استولوا عليها، والتوسع والسيطرة على أرض جديدة، ويقاتلون من أجل الحصول على الغنائم والمغانم، وفي الوقت نفسه فإن الأفكار التي يؤمنون بها تجعل القتال بالنسبة لهم هدفا بدعوى أنه يمثل «فريضة الجهاد» التي لن تتوقف بالنسبة لهم حتى يحققوا ما يسمونها «دولة الخلافة».

وهناك وثيقة، منسوبة إلى داعش، تقول إنهم ذاهبون إلى معركة «نهاية العالم» التي ينتظرونها، شأنهم شأن المتطرفين من اليهود والمسيحيين، وأنهم سيمرون بستة مراحل حتى

يصلوا إليها، أعطوا لكل منها عنوانا أو اسما، وهي تتدرج على النحو التالي:

١. الصحوة: امتدت من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٣، وفيها قام داعش بعملية كبيرة ضد القوات الأمريكية في العراق لإثارة «حرب صليبية» جديدة.

٢. الصدمة والرعب: امتدت من ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٦ وشن فيها التنظيم حربا متعددة الأشكال، شملت الهجمات الإلكترونية، وإنشاء جمعيات لدعم الإرهاب بالعالم العربي والإسلامي.

٣. الاعتماد على الذات: امتدت من ٢٠٠٧ إلى ٢٠١٠ وفيها تم إنشاء منطقة سيطر عليها داعش فى العراق مع وضع عينيه على سوريا.

٤. الحصاد والاستقبال: امتدت من ٢٠١٠ إلى ٢٠١٣ وعمل التنظيم فيها على شن هجمات ضد أمريكا والغرب، لتدمير اقتصاده، بحيث يحل الذهب والفضة محل الدولار، وكذلك فضح علاقات الحكومات الإسلامية مع إسرائيل وأمريكا.

٥. إعلان الخلافة: وتستمر هذه الفترة من ٢٠١٣ إلى ٢٠١٦.

٦. ٦ ـ الحرب المفتوحة: وتستمر من ٢٠١٧ إلى ٢٠٢٠، وفيها «يحارب المؤمنون الكفار، ثم ينصر الله المؤمنين،

ويحـل السـلام علـى الأرض» حسـبما تتوهـم الوثيقـة.

بـذا يبقـى الهـدف العـام لداعـش هـو إقامـة خلافـة عالميـة علـى مشـارق الأرض ومغاربهـا، عـبر حـرب دائمـة. وبالطبـع فـإن هـذه إسـتراتيجية عدميـة لا يقبلهـا عقـل سـليم، إلا أن الأهـداف الأساسـية لداعـش تبـدو واضحـة، وكلهـا تتعلـق أساسـا بالبقـاء والتمـدد. فيتحقـق البقـاء عـبر الدفـاع المسـتميت عـن المناطـق الـتي احتلهـا في العـراق وسـوريا، ويتحقـق التمـدد عـبر عمليـات التفجـير والقتـل والتجنيـد والدعايـة.

ولا يسـير التنظيـم في تحقيـق هذيـن الهدفـين علـى التوالـي، بـل علـى التـوازي، فيصبـح الهدفـان متزامنـين، فعندمـا يتعرض التنظيـم للضغـط أو لخسـائر ميدانيـة محـددة، ينفـذ عمليـات في مناطـق الاضطـراب البعيـدة سـواء في ليبيـا أو سـيناء بمصـر وغيرهمـا، لإعطـاء زخـم لمواجهاتـه في العـراق وسـوريا، ورفـع الـروح المعنويـة لمقاتليـه هنـاك.

وترتبـط خطـط وتكيتـكات داعـش القتاليـة بتركيبـة التنظيـم وهياكلـه، ونـوع القيـادة وخبرتهـا، والأيديولوجيـة الـتي يعتنقهـا وتؤثـر عليـه تأثـيرا كبـيرا. وفي الحـالات الثـلاث فـإن داعـش يعانـي مـن غيـاب الانسـجام، رغـم أنـه يحـاول في الظاهـر أن يعتقـد النـاس أن مقاتليـه علـى قلـب رجـل واحـد.

فهنـاك عـدة أيديولوجيـات وأهـداف متباينـة، تتـوزع علـى أساسـها العمليـات العسـكرية لداعـش في اتجاهـات متعـددة.

obeikan.com

فمن بين القادة ضباط في الجيش العراقي أيام حكم صدام حسين، وسلفيون جهاديون. أما الجنود الذي يقاتلون على الأرض فهم خليط من سلفيين محليين ومهاجرين، وصف ضباط في الجيش العراقي المنحل. ونصف هؤلاء تقريبا شباب تحت سن الثلاثين.

وهذا التنوع أوجد رؤى متباينة بين الوحدات المقاتلة، فبعض المحاربين يلتزمون بالقتال في موقع واحد فقط، لا سيما عندما ترتبط مشاركتهم مع داعش بصراعات قبلية وطائفية محلية. ولذا فبالنسبة لمثل هؤلاء المقاتلين تنتهي الحرب حين يخسرون معركتهم المحلية، المعزولة.

وعلى النقيض هناك مقاتلون يحاربون خارج مساقط رؤوسهم، ويتماهون أكثر مع الأهداف العامة والواسعة للتنظيم، مثل الدفاع عن «أرض الخلافة» وتطبيق النهج الإسلامي، وفق تصور داعش فيها. وبعض المحاربين تسوقهم تجربتهم الذاتية مع «الجهاد» مثلما مارسوها في بلدان أخرى مثل أفغانستان واليمن والجزائر وغيرها، ويشغلهم تحصيل مجد عسكري. وفي ظل هذا التباين تبرز في كثير من الحالات اختلافات بين ما يريده التنظيم أو يحتاجه وما يصبو إليه الأفراد.

ويزيد من تأثير العوامل السابقة أن داعش يعتمد في قتاله على وحدات صغيرة، تتحرك هنا وهناك، في محاولة لشغل

المسرح العسكري، والتمسك بالأرض التي سيطر عليها التنظيم، والتحرك بخفة بين الناس.

من هنا يمكن اعتبار التنظيم مجرد تجمع لمجموعات أو فصائل قتال مسلحة، ، تخوض في معظم الأحيان اشتباكات تكتيكية، تعتمد على التعزيز الدائم للعدد والعتاد. ويبدو أن قادة صغار في التنظيم، يمتلكون هامشاً كبيراً من الحرية فيما يتعلق بالتخطيط للعمليات وتنفيذها، وهذا يتسبب في معاناة الوحدات المقاتلة من «الارتباك التكتيكي» المزمن، الذي يعوق أحيانا اتخاذ زمام المبادرة، ومهاجمة العدو.

ومن هنا فعلى المستوى التكتيكي، تُعتبر عناصره شديدة الخطورة ولا تزال قادرة على تحقيق الانتصارات في الاشتباكات، ولكن على مستوى العمليات تفتقر إلى التماسك الاستراتيجي وتُظهر عجزاً مزمناً عن الدفاع عن الأراضي التي تحت سيطرتها.

لكن اللامركزية في إدارة المعارك تتيح حرية واسعة للقادة المحليين في تخطيط العمليات وتنفيذها، على مستوى الفصائل. وتتحكم في المتطوعين الأفراد خلفية التزامهم الشخصي بالجهاد المسلح، ورغبتهم في القتال وتحقيق النصر.

وبوسع من يتابع المعارك التي خاضها داعش في العراق وسوريا أن يضع يده على بعض الخطط البسيطة والمركبة التي يتبعها التنظيم في القتال. ويمكن هنا أيضا الاعتماد،

obeikan.com

بتدقيق ومراجعة، على دراسة مشتركة للدكتور مايكل نايتس وهو زميل ليفر في معهد واشنطن، والذي عمل في كل محافظات العراق في معاونة لقوات الأمن العراقية، وألكسندر ميلو هو المحلل الرئيسي للشؤون الأمنية المتعلقة بالعراق في «هورايزن كلاينت آكسيس»، وهي خدمة استشارية تعمل مع شركات الطاقة الرائدة في العالم. وأخذت هذه الدراسة عنوان: «عقيدة الهجوم: تنظيم الدولة الإسلامية في حالة الدفاع». وبناء على هذا يمكن عرض حالتي الهجوم والدفاع في أداء داعش الحربي، في النقطتين التاليتين:

أ ـ في الهجوم:

١. شن هجمات مضادة تكتيكية فور التعرض لنكسة في الميدان، بما يذكرنا بما كانت تفعله القوات الألمانية خلال المرحلة الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، وذلك حين أدركت أنها ستدفع ثمنا باهظا حيال الهجمات المضادة المتوقعة، في وجه تعاظم قوة العدو، وتفوقه الجوي.

٢. استخدام تقنيات الحرب غير المتكافئة مع توظيف عدد كبير من مركبات الانتحار المفخخة **SVBIED** والعبوات الناسفة **IED** وقد تم نشر هذه الأعمال في جميع أنحاء العراق وسوريا.

٣. العمل على تشتيت القوات المواجهة لداعش، لاسيما من الأمن الداخلي، عبر عمليات سريعة وخفيفة على

عدة جبهات، بما يؤدي إلى خلخلة هذه القوات.

٤. العمل بقوة إلى إخضاع الخصوم وشل قدرتهم على التحرك وترويعهم. ويتم هذا من خلال عمليات المداهمة والقتل والنهب للمؤسسات المدنية، بما يبث الرعب في نفوس الناس، ويردع من تحدثُه نفسه بمعارضة التنظيم.

٥. استغلال نقاط ضعف الخصوم بحرص وسرعة في سبيل بسيط السيطرة على الأرض.

٦. أثبت داعش كفاءة قتالية أفضل أثناء الليل، وكذلك تحت ستار ضباب الصباح.

٧. تنفيذ هجمات مضادة أقل كلفة، وهي تعتمد على طريقتين، الأولى ترتكز على إنشاء احتياطات تكتيكية مؤلفة من الأجهزة المتفجرة المرتجلة المثبتة في مراكب للهجمات الانتحارية، وهي غالباً قوة سريعة في رد فعلها، وعبارة عن شاحنات مفخخة يقودها انتحاريون. والثانية تمثلت في القيام بهجوم مضاد واسع النطاق، مثلما جرى بين ٩ و١١ يناير ٢٠١٥ والذي تم فيه جمع أكثر من عشر فصائل للهجوم على المنطقة الخاضعة لسيطرة قوات حكومة إقليم كردستان.

٨. الاعتماد أحيانا على التكثيف والتدفق في الهجوم، والذي يعني تنفيذ عمليات سريعة ومتكررة في وقت ضيق، وربما يرمي القادة مو وراء هذا إلى خلق انطباع على

المقاتلين بأن التنظيم في حالة هجوم، بينما قد يكون العكس تماما.

ب ـ في الدفاع

١. يتكيف داعش مع الظروف الميدانية التي يمر بها، عبر تجنب المواجهة المباشرة، والتغلغل في المناطق الصحراوية، لامتلاك حرية المناورة خارج المدن، ثم الهجوم عليها لاحقا.

٢. يتبع التنظيم نمطاً عملياً دفاعياً مميزاً، يشبه، في نواح كثيرة، نمط الدفاع اتبعه الجيش الألماني بين عامي ١٩٤٤ و١٩٤٥.

٣. يصب معظم تركيز داعش على الدفاع النشط على الأحزمة الريفية المحيطة بالمدن. وفي كثير من الحالات، قد يشكل المركز الحضري في المنطقة التي يتم الدفاع عنها الجزء الأصغر من زاوية حشد القوات المدافعة. ومعروف أن داعش لم يدافع، حتى الآن، أبداً عن مدينة مأهولة بالسكان.

٤. لم يُظهر داعش ميلاً للقيام بأعمال دفاعية تستمر حتى «الرمق الأخير»، لكنه يستعمل القناصة، والفرق المتنقلة لمطلقي النار، وحقول الألغام المرتجلة السميكة المصنوعة من العبوات الناسفة اليدوية وأسطوانات الغاز الخام، وكذلك زرع متفجرات في منازل، في محاولة إبطاء القوة

المتقدمة لأعدائه، وحرمانها من السيطرة على المناطق العامرة بالسكان.

٥. يعمل داعش، بقدر المستطاع، على منع نزوح المدنيين أو هروبهم من المناطق التي يسيطر عليها، إما لاستخدامهم كدروع بشرية أو وسيلة للحد من تأثير الضربات الجوية.

٦. عندما يلتزم داعش بالدفاع عن منطقة، غالباً ما يختار أكثر الأساليب عدائية للمهمة، بغية أن يتمكن من المحافظة على معنويات مقاتليه، وتعزيز الخبرة العملياتية لجنوده المرابطين، وإن كانت هذه الطريقة تُنهك القوات وتستنزفها باستمرار.

٧. تعمل بعض الدوريات على وقف تقدم الخصوم في ميدان المعركة، وحرمانهم من جمع المعلومات، واستطلاع طرق الهجوم، أو السيطرة على أرض جديدة خارج نطاق سيطرة التنظيم وسيطرة مناوئيه في الوقت نفسه.

opeikan.com